بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[1] والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

القصص القرآني فن من الفنون الأدبية الرفيعة التي يمتاز بها القرآن الكريم دون غيره، وسر من أسرار إعجازه، ومنهج متكامل يستدعي الوقوف على نظامه وقفة متأنية دون تعب أو نصب.

وتأتي أهمية هذا القصص من اتخاذه حجة قوية لدعم الأفكار والآراء التي يراد لها أن تعمَّ الأرض، فكان أحد العوامل النفسية المؤثرة التي لجأ إليها القرآن الكريم في الجدل والحوار والبشارة والإنذار، وتوضيح طبيعة الدعوة الإسلامية، وتثبيت قلب الرسول الكريم ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[2] وقلوب المسلمين الأولين.

وإذا كانت أكثر الأمم دعيت إلى البحث في تراثها ودراسة أدبها فوجدت في ذلك مصاعب جمّة فإننا مدعوون أيضاً إلى دراسة أدبنا الذي حفظه لنا كتاب الله العزيز والذي يتمثل بعض منه في القصص القرآني. فقد جاء هذا

---

1 سورة الأعراف: الآية ٤٣.

2 سورة هود: الآية ١٢٠.

القَصص سليماً بعيداً عن أي تشويه أو تحريف.

إن القَصص القرآني إشراقة مضيئة انتشرت على مساحة واسعة من المؤلفات والمصنفات والدواوين وجميع العلوم والفنون، وقد عني به الأقدمون في دراساتهم وتمثلوه في نتاجاتهم العلمية والأدبية على السواء.

أما الدراسات المعاصرة فإنها لم تعنَ بدراسة القصص القرآني، ولم تقم في البحث عنه في الشعر، وإنما كانت عنايتها منصبة على دراسة الشعر وفق عصوره الأدبية، أو دراسة أغراضه وموضوعاته فإن معظم هذه الدراسات لم تتطرق إلى دراسة القصص القرآني الذي هو نواة القصة في الشعر.

وإذا كان القصص القرآني هو نقطة البدء في دراسة القصة عامةً والدينية خاصة، فإن هذا القصص الذي وصل إلينا سليماً هو الذي نثق به، ونطمئن إليه وتكون أحكامنا عليه سليمة، وتأتي سلامته من سلامة كتاب الله الذي يحويه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

وتأتي صعوبة البحث عن هذا القصص الذي يشكل جزءاً من القصص الديني في ثنايا الشعر الممتد عبر ثمانية قرون، ويشترط في وجوده في الشعر أن يكون له وجود في القرآن الكريم أيضاً، ولعل مثل هذه الصعوبات هي التي جعلت بعض الباحثين يعزفون عن دراسته، ولكن حاجة المكتبة العربية إلى مثل هذه الدراسة أمر ضروري لخلوها منها ولابد أن يندفع أحد الباحثين إلى دراسته والبحث عنه. إن هذه الأسباب هي التي دعتني إلى دراسة القصص القرآني في الشعر الأندلسي وتعقب معالمه، وتتبع آثاره في جميع أغراض الشعر وفنونه تحت ظروف قاسيه، ولم تكن تلك المعالم أحياناً واضحة، فالإشارات الخفية التي ترد بين ثنايا الشعر لم يفهمها كثير من المحققين في هذا الشعر ودارسيه، ولكني استطعت بفضل من الله تعالى أن أقف عليها كمن يقف

1 سورة الحجر: الآية ٩.

على كنز خبيْء تحت ركام من الرغام، فسلطت الضوء عليها لتعود إلى إشراقها من جديد.

ـ يتألف هذا الكتاب من مقدمة وتمهيد وفصول أربعة وخاتمة:

فالتمهيد يتناول الحديث عن مفهوم القصص القرآني وأثره في الشعر الأندلسي.

ويتضمن **الفصل الأول** دراسة القصص القرآني في شعر الزهد، ووجدته ينحصر في جانبين، الأول: يتحدث عن الحياة الدنيا ومحاولة الزهاد في التحذير من غرورها، وتمثيلها بالبحر الزاخر ذي الأمواج العاتية التي لا ترحم. والثاني: يتحدث عن الحياة الآخرة، وما فيها من بعث وحشر وحساب، وما بعد الحساب من ثواب يؤدي إلى الجنة، وعقاب يؤدي إلى النار. ويتناول الفصل الثاني موضوع التصرف ومفهومه، ومحاولة الكشف عن مفاتيح أسراره، وهو ينحصر في جانبين أيضاً، الأول: يتحدث عن الحب الإلهي وسر الإسراء الروحي إلى رؤية النور الإلهي، وهي رحلة متأثرة بإسراء النبي صلى الله عليه وسلم ومعراجه. ومتأثرة بتوجه النبي موسى ـ عليه السلام ـ إلى النار في جانب الطور.

والثاني: يتحدث عن الخمرة الصوفية التي تدل على الرؤية والفناء.

ويشتمل **الفصل الثالث** على دراسة القصة القرآنية في الأغراض الشعرية الأخرى كالمديح والغزل والوصف وغيرها، ومحاولة تتبع القصة الواحدة في عدد ممّا يناسب الغرض أو محاولة تحوير القصة لتوافق الغرض ذاته، وما القصة الأخرى التي يضعها الشاعر إزاء القصة القرآنية حتى تستند إليها وتقوى بها.

ويحتوي **الفصل الرابع** على دراسة الأفكار والمعاني التي تحتوي عليها القصة القرآنية، وهي غالباً ما تكون نماذج من حياة الأنبياء والرسل وتجاربهم في الدعوة إلى الإيمان، وسلوكهم وأعمالهم، وكذلك يتضمن

دراسة أسلوب الشعراء في تناول هذه القصص، وهو أسلوب يختلف من قصة لأخرى أو من موضوع لآخر. وكانت الصور الشعرية هي الأخرى تعد جزءاً محدداً من القصة ذاتها، أو هي أصغر وحدة في القصة، لأن القصة هي مجموعة من الصور. وتم تحديد وسائل توظيف القصص القرآني في الشعر في نهاية هذا الفصل، وذلك لأن هناك عدة طرق دخلت منها القصة إلى القصيدة، فمثلاً عن طريق الاحتجاج أو الاقتباس وغيرهما من الطرق التي قد جعلت الشاعر مبدعاً خلاقاً في هذا الفن.

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت إلى تقديم عمل علمي يخدم المكتبة الأندلسية، ويضيف إليها جديداً، وليس لي إلا أن أردد قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[1].

---

1 سورة البقرة: الآية ٢٨٦.